الكلمة ... والبلاغ (*)

لقد ربى الله هذه الأمة بالكلمة التي كانت مفتاح الإيمان والعمل، فكانت رحلة الصياغة الأولى قائمة على الكلمة التي تنزلت وحياً من الله على نبيه المصطفى وقام هو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأمانة التبليغ والتعليم والتزكية والبيان.

ومن هنا جاءت أهمية البلاغ وضرورة الدعوة، بل أخذت قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ امتداداً لموقع الكلمة ـ حجماً يليق بجلال هذه الدعوة، وبنية المجتمع، حيث الحراسةُ من الداخل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صورة عن إحساس كل فرد بمسؤوليته، والحراسة من الخارج بجهاد أعداء الله والمرابطة على الحدود في سبيل الله. وتظل الكلمة نقطة البدء، والعدد الذي تتولد عنه الأعداد بأرقامها وأبعادها.

والكلمة المعجزة في القرآن، وتبيانها في سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي الكلمة القادرة بدءاً من قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ وهي المنار الهادي، فهي دلالة على الخير، وضياء على سبيل الرشاد.

وفي ساحة الصراع بين الحق والباطل هي القوة التي تلوي عنق الانحراف، وترد المزْوَرَّ عن الحق إلى سبيل هي الجادة [**سيد الشهداء حمزة ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**]. ومن هنا يتضح أننا لا نعني مجرد

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الثالث، السنة العشرون، جمادى الأولى ١٣٩٩هـ، نيسان ١٩٧٩م.

الكلمة ـ كائنة ما كانت ـ ولكن تلك الكلمة النورانية النابعة من أرومة الخير. وكان من تكريم الله للكلمة النابعة من تلك الأرومة أن سمَّى بها «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إلى أن يقول: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

وبحكمة الحكيم سبحانه، خلق الإنسان وعنده قابلية أن تأخذ الكلمة طريقها إلى نفسه، إلا ما كان من أولئك الذين أطبق عليهم العناد، وقادهم الهوى من أنوفهم، ومن أجل ذلك كان زعماء قريش يخافون على الناس من قبيلهم أن يسمعوا للقرآن.. أجل يخافون من مجرد السماع خشية أن تعمل الكلمة عملها في القلوب والنفوس ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾.

وعلى هدي ذلك: كان على من أسعده الله بأمانة الدعوة إلى الله وتبليغ كلمته في الناس، أن يتذكر هذه الحقيقة. فالإنسان مولود على الفطرة، وقابلية الاستجابة للكلمة قائمة في نفسه كما خلقه الله، فليقل كلمته مؤدياً رسالته، ولا بد أن تؤتي آكلها ولو بعد حين.

ويا رب كلمة نامت فترة قصيرة في أحضان الزمن، ثم صحت لتخوض غمار التاريخ، وكثير لا يدري عن وجودها وبذرة الحياة فيها، والتألق الذي حباها الله به، فعملت عملها من جديد.

من أجل هذا ـ كما أسلفت ـ كان لا بد أن تخرج الكلمة إلى النور. وكان لزاماً أن تلقى البذرة في تربة العمل، ولا على الرواد بعد ذلك، متى يتم ظهور النبتة، وفي أي وقت تستوي على ساقها هنا أو هناك. ومن ذا الذي ينسى أن الذين حكموا الهند بالإسلام بضعة قرون: كان أسلافهم الأقربون غزاة للعالم الإسلامي مدمرين.

وهذه في نظري هي الإيجابية تطارد اليأس، وتحول أن يكون له سلطان على النفوس، فالمنطلق أن تأخذ الكلمة طريقها إلى الوجود، أن لا تظل حبيسة الصدر والفؤاد. أن لا تكتم عن الظامئين إلى المعرفة، والهداية بيد الله. أقول هذا غير ناس ما يوضع على طريق الكلمة من عراقيل، وما يتخذ لكي تظل حبيسة من وسائل؛ ذلك أن للكلمة التي نعنيها هيبة في صدور أهل الباطل أعداء الأمة، إنهم يخشونها، فيرتكبون ما شاء لهم الهوى من مآثم في ساحات الرغب والرهب وشديد الرقابة، لتموت الكلمة بموت الإنسان ولو على قانون «إنما الميت ميت الأحياء».. ولولا أن لها هذا الصدى، ولولا أنها مركب فكر، ومصباح هداية، وعنوان حركة، لما هابها أولئك الأناسيّ ـ على ما لديهم من القوة ـ وراحوا قطيعاً بعد قطيع، يتراقصون على مزمار الشيطان.

ويسوقنا الحديث على استحياء، لنذكر أن الكلمة غير مقطوعة الصلة بصاحبها، فلنحسن بناء الإنسان، ولتصدر عنه الكلمة القادرة بقدرة الله، القاهرة بسلطان الله؛ فإذا كان الإنسان آية من آيات الله في هذا الوجود، فإن الكلمة بدلالتها وأبعادها ـ كما شاء لها الإسلام أن تكون ـ واحدة من

آياته التي تصدر عن الآية الأولى، وكأني بواقع الأمة الذي يقرّح الأكباد. يصرخ في أعماق كل من له أدنى اهتمام بأمور المسلمين: نريد الكلمة التي تحركها اللوعة، الكلمة النابعة من القلب، الموصولة بالسماء.. ولا نريد الكلمة الميتة الكلمة البتراء، لأن النسب بينها وبين القلب مقطوع.

إن الكلمة التي في مقدورها أن ترسم أبعاد التاريخ ـ بوصفها نقطة البدء ـ وأن تعمل عملها في أخاديد الزمن، هي تلك الكلمة المضيئة التي تفيض عن القلب، فتخرج من اللسان أو يخطُّها القلم مثقلة بندى الحياة، وتنطلق فاعلة مؤثرة وبين يديها قدرتها على التغيير.. بعد أن تقطع المفاوز والقفاز.

وليس رجماً بالغيب أن نقول: ربما كان الكثير من أصحاب الكلمات التي عملت عملها في تاريخ الهداية، جنوداً مجهولين.. شعارهم أداء الأمانة ـ مهما كان الثمن ـ وقد أدوها، فكانت تلك الكلمات التي وضع الله لها القبول في الأرض ـ لما أنها قيلت في سبيل الله وائتماراً بأمره ـ مقتحمة عقبات الرغب والرهب. ولا تسل كم هي ثقيلة في ميزان الله.

كما أنه ليس ضرباً من الفلسفة البلهاء، والكسل العقلي: أن نسمح لأنفسنا بتقرير أن عدم القدرة على تنفيذ ما تريده الكلمة، وتحويلها إلى عمل: لا يعفي من أداء أمانة الكلمة.. فنواصي العباد بيد الله، وقلوبهم بين أصبعين من أصابع الرحمن.. فمن يدري!! لعل بضعة أحرف من نور تأخذ مكانها في عقل إنسان ولبه فيعمل ما تقاصرت طاقتك عن عمله، أو يحملها عنه إلى من هو أفقه لها، وأكثر قدرة منك ومنه، فتحقق بانية مؤثرة قدراً لا يستهان به من المأمول.

وأحسب أن هذا الذي نلمح إليه، هو بعض مدلول قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما جاء في الحديث الصحيح [**نَضَّر الله امرءاً سمع عنا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فرب مبلَّغ أوعى من سامع**] وفي رواية [**فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**]. وفي رواية [**سمع مقالتي فوعاها..**].

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نظرات تتخطى حدود الزمن، وتستكشف مكنون الإنسان: يريد للكلمة المشرقة الهادفة، أن تأخذ طريقها إلى القلوب والعقول، فالتبليغ غاية في ذاته، والله تعالى يُسمع من يريد أن يهديه فيشرح صدره للإسلام.. وخلق الهداية لا يكون إلا من الله.. حتى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، هدايتهم هي دعوة الخلق ودلالتهم على الطريق، هي ما يرسمون للناس من معالم الخير، وما يوضحون لهم من سبيل ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾. ﴿**إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ**﴾. ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾.

إن حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المبين عن الله ما أراد ـ يحمِّل كل قادر على الدعوة تبعة التبليغ.. لأنك لا تدري أي تربة تتوفر لها خاصية الإنبات، فيكون لها العطاء والأكل الطيب.

وتحميل التبعة على هذه الشاكلة، ومن صورها ما رأينا من الدعاء بالنضرة، مع التعليل لوجوب الوعي عند السماع كما هو في بعض الروايات، وأنه رُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع.. إن تحميل التبعة على هذا الشكل قد يكون ـ من بعض الوجوه ـ آكد مما لو جاء ذلك بأمر مجرد، وإن

كان الأمر المجرد في عدد من النصوص منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: [**بلغوا عني ولو آية..**]. والأمر في كلتا الحالين يتجاوز الحدود الزمنية، فهو ليس مقتصراً على أولئك الذين عاشوا متنزل الوحي، وتلقوا مشافهته عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولكنه ـ كما أسلفنا ـ يتناول كل من كان قادراً من أبناء الأمة على ذلك في كل زمان.

ووعيد الذين يبخلون بالكلمة، فيكتمون ويتقاعسون، وعيد يهز النفوس ويذهل القلوب، انظر إليه في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾. صحيح أن الآية نزلت في بني إسرائيل وما كان من انحراف أحبارهم، ولكن عمومها واضح في ألفاظها ودلالتها، وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ، وكأن الكلمة الهادية تبعث الحياة في دنيا مخلوقات الله كلها بعد الإنسان، وعند حجبها وكتمانها.. ترى أن كل هذه المخلوقات تلعن من كتم، فأساء إليها، وأسلمها إلى الموت، فهؤلاء الكاتمون لما أنزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: [**من سئل علماً وكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة**]. الأمر الذي يؤكد الذي قلناه من عموم الآية الكريمة وسعة من تطولهم دلالتها، فهي غير مقتصرة الحكم والوعيد على علماء بني إسرائيل، بل هي تشمل كل من وقع منه هذا المتوعد عليه والعياذ بالله. ولقد يكون هذا الأمر أخص من الدعوة والتبليغ ـ على وجه العموم ـ ولكنها كلها ترتد إلى أصل واحد.

صحيح أن العالم الإسلامي اليوم يموج بتيار طيب من الوعي الإسلامي المستنير رغم السدود والقيود. . ولكن مايزال المسلمون هنا وهناك يعانون جهلهم بالإسلام والفقه الحقيقي لدعوته. بأبعادها وحدودها والتزاماتها، الأمر الذي يجعل من هذا الواقع سلاحاً يرتد إلى مقاتلهم وكم هو فتاك ذاك السلاح.

فإذا أضفت إلى ذلك ما كان وما هو كائن من الغزو الفكري الذي هبت ريحه السموم من القرن التاسع عشر، ذلك الغزو الذي يتساقط ضحاياه الألى ندعوهم بـ «المثقفين والمتنورين» رأيت واحدة من دلائل النبوة حين يدعو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى تعلم الكتاب الكريم وتعليمه ويجعل ذلك عنوان خيرية هي منتهى الآمال [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**]، ويسلك في نفسه وفي الجماعة التي أعدها لحمل العبء العظيم هذا النهج القويم.

وغير خاف أن كل ما يقال حول هذا المحور لابد أن يوظف ضمن إطار منهجي مدروس يضع في الحسبان كل المتغيرات والاحتمالات، ولا يغمض العين عن شيء من واقع الأمة سواء أكان ذلك في ذات نفسها، أم في علاقاتها بالآخرين. ولقد طال انتظار هذه الأمة لجيل تبنيه الكلمة الطيبة، وتصدر عنه الكلمة الطيبة، عنوانَ الخطوة المتقدمة التي تقود إلى إزاحة الركام، ونفي الخبث، ولكن حجازاً من الشك وعدم الوثوق يقوم بين الأمة وبين هذا الجيل، صورةً عن عبث العابثين بالعقول، وما يكون من تسويل

شياطين الإنس والجن حقداً دفيناً على الإسلام الذي يشكف مواقع المتبطلين وأهل الضلالة، ولكم يغمر الرواد فضل الله ورضاه، عندما ينذرون أنفهسم صادقين لرد الأمور إلى نصابها، ووصل أمتهم بأسباب قوتها ومنعتها بعلم ومنهجية وإخلاص، كيما تتجاوز الصعوبات بعون الله وقدرته، وتنتصر على أعدائها المتربصين، ويعود لها دورها القيادي في العالمين.

ألا إن وعد الله لا يتخلف وسنته ماضية في ربط النتائج بالمقدمات ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾. والحمد لله في الأولى والآخرة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إذا لم تستحي فاصنع ما شئت (*)

إن للتاريخ باباً عريضاً دخله نورالدين وصلاح الدين، ودخله عدد من عباد الله الفراعنة والطغاة، ويمكن أن يدخله - على شكل مناسب - واحد من المتقزمين، لا يريد نورالدين ولا صلاح الدين وإنما يعشق بيغن وأبا إيبان.

أقول هذا وقد تكسرت النصال على النصال، فأنا لا أدري من أين أبدأ الكلام، ولا على أي شكل أدير الحديث.

غير أني - على شدة وقع النبأ نبأ معاهدة السلام، وعميق ما فعله من جراح - لم أفاجأ به، وإن كانت لكل فتنة لوعتها، ذلك أني - مرة أخرى - منذ الرحلة المشؤومة إلى القدس المغتصبة الجريحة الأسيفة، بت أتوقع كل ما لم يكن متوقعاً، لأن بداية تبلغ هذا المبلغ من السوء والشناعة، لابد أن تنتهي إلى ما هو أسوأ وأشنع، وما ذاك إلا لأن تلك الرحلة كانت عنوان الذلة والمهانة، والتمثيل الحضاري!! الذي توحَّد فيه الكاتب والمخرج، والمصفق وصاحب الإعلان.. ثم كان السقوط في كامب ديفد، وجاء من بعده الفصل الثالث من المأساة، وما أكثر فصولها - ونقول (الثالث) تجوزاً - وما أسرع ما لحقت به زيارة رئيس وزراء العدو إلى القاهرة؛ لأن كل أصحاب (الزفة) يخافون على هذا الزواج، الذي كان بشاهد أشقر واحد يريد أن يربح الانتخابات في بلده.. وما أدراك ما هذا الزواج؟ إنهم يخافون أن

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الرابع، السنة العشرون، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ، أيار ١٩٧٩م.

تتزلزل الأرض من تحتهم فلا يتم، وإن كان انتهاؤه إلى ما انتهى إليه: لن يجعله مشروعاً بحال من الأحوال.

ولقد بات جلياً أن هذا الزواج غير المشروع قديم الخطوبة، وكان موضع العناية والتحضير بشكل واضح بدءاً من ١٩٦٧م، وبات ذلك أوضح فيما حصل من العبور في حرب رمضان، ليكون صاحب الصفقة بطلاً لا يرقى إليه الشك عندما يشرع في المساومة والاستسلام، فمنذ بن غوريون في عام النكبة، حتى ليفي أشكول في عام الهزيمة، وحتى غولدا مايير في عام العبور المؤقت، أو كما قال إدوارد شيهان: العبور المخطط له. والأمور تحضر بعناية، فرأيت بعد العبور المخطط نوعاً من الاسترخاء، والتخلف عن حقيقة المواجهة، وأصبحنا نسمع ونرى بأن هذا كان آخر الشوط، مع أن منطق الأحداث ـ لو أخذنا بظاهر ما جرى ـ يعطي أن من استطاع العبور وكسر القيد، وأزال وهم أن إسرائيل لا تقهر، قادر على متابعة الطريق. ولكن ظهر فيما بعد لكل ذي عينين أن وراء الأكمة ما وراءها، وأن جهات معينة مرنت على أن تصنع أبطالها كما يصنع الصانع طبقاً من خزف!!

والحمد لله أن لم يكن قبر صلاح الدين في قاهرة المعز، إذاً لذهب إليه صاحب مدرسة الإرهاب والتشبث اليهودي، ليقول له: عدنا يا صلاح الدين.. ولكن لسان حاله وحال من معه من أوضار البشر: قائل هذا لكل ذرة رمل على أرض الكنانة، ولكل شهيد روى ثراها بدمه، بل لكل عالم عامل قضى في سبيل توجيه الأمة إلى الخير.

الحمد لله . . ثم الحمد لله أن لم يكن في القاهرة قبر صلاح الدين ولا نورالدين، لأن النشوة قد أخذت من الضيف غير الكريم مأخذها حتى صرح ـ لكثرة ما رأى من تمايل الراقصين المنتفعين تحت نجمة داود وعلم إسرائيل ـ: الآن علمت أن أصدقائي في مصر أكثر من أصدقائي في إسرائيل.

ولقد يضيف هذه اللحظات إلى لحظات سعادته الأخرى التي أعلن أنها: لحظات إعلان الدولة، والاستيلاء على القدس من جديد، ثم توقيع ما أسموه معاهدة السلام!! لقد غنى أبناء جلدتنا لأعدائنا، وصفقوا للجزار وسكينه تقطر من دمنا واشلائنا، ولم تعبأ الأخناتونية بكل ما حمل التاريخ في الماضي، ولا بما حمل منذ واحد وثلاثين عاماً على الخصوص، وشاء المستهتر لنفسه أن يحمل لعنة الأجيال والتاريخ. . وأين ما نحن فيه!! من شموخ قال في ظله واحد من شعرائنا، في صدره بقية من إباء:

يريدون مني أن أغني باسمهم وأي هضيم باسم أعدائه غنى

والآن . . بعيداً عن كل التحليلات السياسية والنتائج المتوقعة، تاركين ذلك لأربابه المتخصصين اليوم: إن هذا الذي وقع بكل ما فيه من خزي، إعلان صارخ في عقل أمتنا وقلبها ومشاعرها يقول منذراً إن المواجهة اليوم أصبحت ذات حجم جديد، وإن قدراً كبيراً من التهاون كان عاملاً في ازدياد حجم هذه المواجهة، كيف وقد أعطى واحد من أهل الدار مفتاحاً للعدو، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبدالله حيث يقول: [**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**].

فأي سلام هذا الذي يتردد على ألسنة السوء؟! بل أي عبث هذا؟! أية أضحوكة هذه التي تلغي تاريخاً، وتقلب مفهومات، وتنتهك حرمات، وتخالف أبجديات الإسلام الأولى فيما رسمت من طبيعة علاقتنا باليهود، وتتجاهل أعمق الحقائق وأوضحها في حياة الشعوب؟! فلا حقوق، ولا أرض، ولا مقدسات، ولا تاريخ، بل لا إنسان. وأين الإنسان من هذا الذي هو الاستهتار كل الاستهتار؟!

العُتل رئيس وزراء العدو، لا يقضي أمراً ـ وكل أموره غطرسة وتعالٍ وعناد ـ دون النواب والوزراء واللجان والمستشارين، وفي الجانب الآخر: فتش عن الإنسان ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. ثم أين السلاح وأمريكا تتعهد لربيبتها إسرائيل بكميات من الأسلحة المتطورة تفوق الخيال.

والأنكى من ذلك: أن الشعب كان وسيلة (باردة) للمساومة، ومظلة استخدمت للعبث، فهو ـ على زعم الأخناتونية والرعمسيسية ـ جائع همه أن يأكل، متعب يريد أن يستريح، مثقل بالجراح لكثرة ما قدم من التضحيات، لا يقوى على مواصلة القتال. وهذا كله بعد بطولات العبور!!

وفي الوقت نفسه يطلب من وضعته الليالي السود على مقدرات هذا الشعب، أن يكون شرطياً في المنطقة يرث الشاه الشقيق!! ولا بأس أن يكون هذا الشعب الذي مل الحروب، وعضته المجاعة بنابها، أن يكون وقود نار

يمكن أن تتأجج بين المعسكرين في الشرق والغرب، أو نار هما يؤججانها لغرض متفق أو مختلف عليه. والحق أن هذا الشعب لو قيد بالإسلام لانقاد، ونعني هنا السواد الأعظم المسلم، الذي لم يبخل بالعطاء والمواقف الحاسمة في كثير من مراحل التاريخ، ودع عنك ـ أخي القارئ ـ زفة المهرجين والمنتفعين وأصحاب الأهواء الفارغين الذين لا همَّ لهم ـ دائماً ـ إلا تزيين الباطل للطغاة، لأنهم هم من أهل الباطل واستمرارهم على ما هم عليه من مكاسب الدنيا وبضاعة إبليس: رهن استمرار الطاغية ووجوده.

وماذا عن الأخذ والعطاء؟ في الواقع لم يكن أخذ وعطاء متبادل، ولكن واحد يعطي بذلة وصغار، وآخر يأخذ ويستزيد بترفع وعناد ومكر، في مواقف يحرص على أن تكون ـ على ما يزعم ـ مرتبطة بنصوص التوراة والتاريخ، والحقوق الأبدية لشعب الله المختار.

واللعب المسرحي الذي تقضى من خلاله الزمن الذي حدده شاهد عقد الزواج الأمريكي، إنما كان مشادة في الغزل، ليستمتع العدو المفاوض بلذة انتصار مع كل حرف من كلمات تنازل، ومعاودة وتفهم لحقيقة السياسة وواقع المنطقة، ويُروي صدراً بل صدوراً تغلي بأحقاد التاريخ، وتغور بالغل الذي ضاع في الأعماق مداه.

لقد تصرف من يدعي العروبة والتمصر، وكأن القدس والجولان، والضفة الغربية المحتلة (بقالية أبيه وأمه) يعبث فيها كما يشاء، حرصاً على من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، ونزولاً عند الرغبة

العجلى لرئيس دولة يبتغي مصلحة بلده، ومصلحته في انتخابات الرئاسة المقبلة، حيث يحتل اليهود هناك عروشاً تخيف في عالمي الاقتصاد والإعلام.

ولكن خسئ من يسقط أمتنا من حسابه، فالقدس قدسنا.. أجل قدسنا. وهي فيما بارك الله حولها من إسلامنا.. والأرض كل الأرض المغتصبة أرضنا، دون تفريق بين ما بعد ٦٧ وما قبل ٦٧، وألعوبة الحكم الذاتي والدولة المصطنعة في ظل حراب اليهود وسيطرتهم على الإنسان والأرض والمقدرات: لن تنطلي على واحد في رأسه مسكة من عقل، وارتباط كل من نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، بالقضية التي حولها ندندن، ارتباط عقيدة، وشعور بواجب الجهاد، كيما يكون هذا المجاهد على طريق من أسعدهم الله بفتح الأرض المباركة، ثم أولئك الذين حرروها من نير الصليبين.

ولئن كان الوالغ في الإثم لا يرجى له صحوة من سكره وخباله، إن على كل من يزيفون الحقائق ويؤولون الوقائع على غير تأويلها، فيلبسون الحرام ثوب الحلال، والمعصية البلقاء في وضح النهار ثوب الطاعة، وعلى من يشدهم خطام القطيع، أن يعلموا - لا علمهم الله - أن صحوة الشعوب الإسلامية قادمة إن شاء الله، وأن العقيدة لابد أن تعمل عملها، وأن الدم لابد أن يعمل عمله، وأن الأرض التي تسقى بالطاهر الزكي من دم الشهداء البررة جديرة أن تنبت الأبطال الذين يصلحون ما فسد، ويقوِّمون - بعون الله -

ما اعوج. ولسوف يتحرك السيل الهادر - بإذن الله - ليأخذ من طريق الأمة كل الأوضار التي يسميها الفراعنة سياسة وحضارة.. وما هي في حقيقتها إلا خدمة لليهود - أعداء الله وأعداء الإنسان - وإضفاء للصفة الشرعية على الاحتلال، والاغتصاب، والأذى، والتهجير!!

ليت شعري هل نتجوز فنقول مع القائل:

وظلم ذوي القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند

ولكن ماذا أنت صانع لمن أصم الله سمعه، وأعمى بصره، وران على قلبه ما كسب، ناسياً أو متناسياً أنَّ لكل صرخة أم ثمناً، وأن لكل أذية طفل ثمناً، وأن اليتامى والأيامى وكل أولئك المعذبين، سوف تكون جراحهم لعنات تنصب على الخونة والمتآمرين إلى أبد الآبدين؟ ولا بدع أن تكون السجون والمعتقلات محضناً يلد الحركة الفاعلة التي تقتلع البغي وأهله من الجذور بإذن الله.

وإذا كان من الأغراض البارزة في توقيع الصلح، عزل مصر عن العالم العربي والإسلامي، كي تستأثر بها إسرائيل، ومرضعها فيما وراء البحار، فإن لنا من القلوب المؤمنة، والسواعد الفتية داخل الأسوار، وما مر به المخلصون من تجارب، وما لمصر المسلمة من وقائع تاريخ الإسلام، ما يباعد بيننا وبين التشاؤم ويجعلنا نرثي لمن يدعونه (شيخ الأزهر) حين يرى - كما نقلت الأخبار عنه - أن يوم توقيع المعاهدة الذميمة المشؤومة، هو من أيام مصر، هكذا.. بطلاقة وإطلاق يدعوان إلى الرثاء والإشفاق!! ويرحم الله

علي بن أبي طالب حين قال: «يا أشباه الرجال ولا رجال»، ويرحم الله مشيخة الأزهر، أيام كان يتولاها العلماء الرجال، فيقودون الأمة بالإسلام إلى ساحات عزها وفخارها، تزلزل العروش، وتؤدب المنحرف، وتقذف بالغازي إلى البحر. ونظرة إلى موقف إيران المسلمة من إسرائيل وإعادة الأمور إلى نصابها باسم الإسلام. ترينا الفارق بين موقف وموقف، وتجعلنا نزداد رثاء لأولئك الذين يزينون الباطل باسم الدين، ويزيفون الحقائق في ظل العناوين الرسمية. إيران التي كانت من أقوى القواعد لإسرائيل في الشرق تطرد باسم الإسلام إسرائيل، ومصر تفتح ذراعيها لها، وتعطيها البترول، وتعمل على فتح الحدود وتبادل السفراء، كيما يكون بلد الأربعين مليوناً لقمةً سائغة في حلوق اليهود، مع إلباسهم ثوب الشرعية في فلسطين. ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن لكل أجل كتاب، والله من ورائهم محيط.

إن هذا الذي حدث في الصف: شرخ له ما له من انعكاسات، تفرض ما تفرض من مواقف، ما كان أجدرها أن تكون في مواجهة العدو، وإن ما تحقق لهذا العدو من أغراض في هذا المنعطف المرعب من تاريخ القضية، حيث التخلخل المقيت، وفتح الأبواب على مصاريعها لمن طال زحفهم، وتراكمت أحقادهم، وبرزت - حين خلا الجو واستنوق الجمل - كل خلائقهم التي يتسم بها الجبان الشحيح الماكر، وأصبحنا في أخطار من الغزو الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي، ذلك الغزو الذي كان من

أمضى الأسلحة في احتلال الأرض، وضياع الديار، وانتهاك الحرمات من قبل!

أقول: إن هذا الذي حدث، يؤكد ما قلناه وأعلناه على صفحات هذه المجلة، منذ سنين ومانزال، من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وكيما يكون التحدي باعث أمل، وعامل تفجير للطاقات، وغيثاً ينهمر بالخير بعد طول ظمأ، وسيلاً عرماً، يغسل أرضنا من حوبة الذل والاستسلام.. لا مندوحة ـ إذا كنا مخلصين ـ من أن نشد جيل المرحلة المقبلة إلى صدق الانتماء إلى أمته، وإلى ربطه ثقافياً وحركياً بكل عوامل القوة والبعد عن الخور والاسترخاء، أجل: لا مندوحة ـ إذا سلمت النيات وصدقت العزائم ـ من إعداد هذا الجيل إعداداً يرقى به إلى مستوى المواجهة في كل أوجهها الدينية والعلمية والحضارية، ليكون كفاء المرحلة التي ضاعف من نصبها ومفاوزها، عدو جديد من داخل الدار، أعطى الأرض والمسالك للعدو الخارجي، وفي الإسلام إذا وعيناه وصحبناه كما هو في منابعه الصافية، غناء أي غناء، وإن كان هو لا يحول بيننا وبين أن نفيد مما عند الآخرين، شريطة الحفاظ على هويتنا وصدق انتمائنا وولائنا لأمتنا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

أجل: إن الإسلام العظيم، بما يربي على العقيدة والمعرفة، وحب الجهاد والاستشهاد، وبما يرفع الفرد والجماعة عن الاستسلام للأغراض القريبة التي تصرف عن الغاية، وبما يمكّن لأخلاق الرجال من وجود عند التربية

والتكوين، ومسارات العمل، أياً كان ميدان العمل، وبما يملك من رصيد نسيجُه معارك لا يبلى ذكرها على الدهر، وشهداءُ أملَوا على التاريخ بدمائهم ما رفع أمتهم إلى سدة القيادة في العالم، وثروةٌ حضارية هي عند المنصفين غايةُ الغاية في سموها وإنسانيتها، وبما يكرم الإنسان ويحركه من أعماقه، ويربط عقله وقلبه وحركته، وبما يحمله من طريقة في التفكير، تجعله على إدراك لغايته، ووضوحٌ في الرؤية عند ممارسته الحياة في ظل رسالته، وبما يبعث في المسلم من اعتزاز بالعربية لغة القرآن، وبما يحمل من قدرة على الجمع بين الأصالة والتحديث، صورةً عن التكامل في نظرته إلى الإنسان والكون والحياة.

إن الإسلام العظيم - بما له من ذلك كله وهو الدين عند الله - جدير بأن تجتمع عليه القلوب، وأن تنهل من معينه العقول، فتأخذ مفهوماته الفكرية والحضارية مكانها اللائق في وجودنا الذاتي الأصيل، كيما يحمل هذا الجيل والأجيال من بعده راية الجهاد على بصيرة، حيث لا يبالي المسلم في ركضه إلى الله، أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، وعند ذلك نكون قد سلكنا الطريق الإيجابية البانية.

فالعدو هو العدو.. واليهودي هو اليهودي.. يريد إسرائيل الكبرى، يريد أن يروي حقده وغله على أي شكل استطاع.. يريد أن يكون مخلب انقضاض حضارة على حضارة.. وأكثر من هذا: إنه يريد أن يثأر من التاريخ الذي تحركت معه يهود قبل أربعة عشر قرناً في الحجاز. ولا يتحقق

له ذلك إلا على حسابنا. وكل انحراف في سلامة الإعداد للمواجهة يكون في خدمة أغراضه، والعياذ بالله.

غير أن الذي لا ينبغي تجاهله، أن القوة التي نراها للعدو في هذه الآونة، ليست قوة ذاتية، وإنما قوة عارضة، صنعها ضعفنا وفرقتنا وبعدنا عن عوامل التمكين التي دعانا إليها الإسلام، وأوضاع دولية معروفة، واجتماع أهل الباطل على باطلهم وتفرق أهل الحق عن حقهم مع الارتباط بما يزعمون أنه الدين والحق الإلهي، والتسلح بسلاح العلم، وحين نعود نحن إلى وضعنا الطبيعي يبدو هو نشازاً وجسماً غريباً في أرض الأمة وكيانها.

فلتكن الطريق أن تتجه الأمة صوب الإسلام عقيدة وعلماً وإعداداً، وأن نعي التاريخ وعناصر القوة منه، والحاضر وما له من أثر على المستقبل.. والله المأمول أن يجعل كارثة اليوم نقطة تحول تعيد الأمة إلى الصراط السوي، فيستعلن الحق، وترتفع الراية التي صنعت بدراً، والقادسية واليرموك، وحطين، والزلاقة، وعين جالوت.

ويا ويح المستهترين بحقوق هذه الأمة وأرضها ومقدساتها من حكم التاريخ.

بل يا ويحهم من الأجيال المقبلة حين تصبح النكبة وقود حركة تدمِّر الخيانة والخونة بأمر ربها، وليتهم يتعظون بما حدث في إيران، ولكن ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾.

بل يا ويحهم من غضب جبار السماوات والأرض، حين يجاهرونه بالعداوة، فيمدون أيديهم إلى أولئك الغاصبين المعتدين، الذين سربلهم الله غضبه ولعناته، وأعلن أنه عدو لهم في كتابه العزيز. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾. نزلت هذه الآية حين قال اليهود عن جبريل ـ عليه السلام ـ هو عدونا.

مرة أخرى: يا ويحهم من العزيز الغالب على أمره حين يخالفون عن أمره، فيوالون أعداءه ويعادون أولياءه وهو سبحانه الذي يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾. ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

اللهم إنا نعوذ بك من عمى البصائر وطمس القلوب، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

أرض الإسراء .. والمواجهة (*)

هذه اثنتان وثلاثون سنة تمضي بما فيها من غصص وآلام، وأرض الإسراء ما تزال ترسف في أغلالها، وأمانة التحرير وإعادة الحق إلى نصابه، تثقل في الأعناق يوماً بعد يوم.

وفي كل عام تخط ذكرى الإسراء والمعراج العظيمة بدلائلها وأبعادها خطاً جديداً على طريق هذ الأمة، هو بمثابة عصا التنبية والتقريع، لو كانت هنالك عقول تعي، وقلوب تفقه!! ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أقول ذلك، لأن الآية ـ كما هو واضح لكل ذي عينين ـ أحكمت الرباط بين المسجد الحرام وبين المسجد الأقصى ـ ويا نعم ما أحكمت ـ ليكون في أعماق المسلم ومنهجه في التفكير: أن حرمة المسجد الأقصى هي من حرمات المسجد الحرام قبلة المسلمين، وتلك هي حرمات الأمة وعرضها، فإذا انتهكت الحرمات: فبرهان الإيمان وصدق تحمُّل العقيدة وسلامة المنهج في التفكير، أن تهبَّ الأمة هبة الرجل الواحد، في انطلاق من وحدة العقيدة، والقبلة، والحرمات، جهاداً وبذلاً وعطاء، لدفع الأذى عن حرماتها، ورد العادين على عرضها، وإلا فعلى هذه الأمة العفاء، حين

(*) مجلة حضارة الإسلام: العددان الخامس والسادس، السنة العشرون، رجب وشعبان ١٣٩٩هـ، حزيران وتموز ١٩٧٩م.

تخالف عن أمر الله، فترضى بالهوان يدمغها، وبشرار الخلق يتراقصون على مقدساتها، وبهؤلاء الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة يسرحون ويمرحون على أرض اغتصبوها وديار برجسهم دنسوها.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عَيْر الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

اثنتان وثلاثون سنة تمضي، ويمضي معها ما تحفظ ذاكرة التاريخ من ألوان العبث أو الجد، واليقظة أو الغفلة، وأن شئت فقل التغافل. ومن الرغبة في الجهاد أو القعود والتثاقل إلى الأرض، ثم النظرات التي تنسى الماضي وتغفل المستقبل، وإنها لآفة الآفات أن نواجه الحياة بلا ذاكرة، فنحرث في البحر ونبني طواحين في الهواء.

وهكذا تظل دلالة الكلمة القرآنية في سورة الإسراء، وما حدث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المعجزة في الإسراء والمعراج، فكان المسجد الأقصى أولى قبلتي أهل التوحيد، ومسرى خاتم النبيين محمد بن عبدالله العربي القرشي الهاشمي، يظل ذلك حجة قائمة على كل أولئك الذين في مقدورهم أن يكشفوا عن الأمة غمتها ـ وذلك بإتيان البيوت من أبوابها بناء وإعداداً ـ فيستبدلوا الاسترخاء والوجهة المناقضة، بالعمل الجاد والعزيمة الصادقة.

أجل. وعلى كل أولئك الذي خولوا أنفسهم حمل الأمانة فحادوا عن السبيل، ووضعت تحت أيديهم مقدرات الأمة البشرية والاقتصادية وغيرها، فأهملوا أو هدموا الإنسان وما وراءه من مقدرات.

وعندما نقول: حجة قائمة، فهي حجة أمام التاريخ، وأما الأجيال بلا ريب، ولكنها قبل هذا وذاك، أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. يوم يواجَه العتاة والجبارون المستهترون بالحقيقة فيقولون: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ألا وإن ما حصل من المتغيرات في هذين العامين، من رحلة العار إلى القدس المثقلة بالقيد، ومؤامرة كامب ديفد، ثم ما أعقب ذلك من صلح مشؤوم، سياجه اللعنات وسداه ولحمته الاستخذاء أمام العدو المتغطرس، والتنازل بمهانة عن الحقوق، وبيع الأرض وما فيها: خزي وضلالة لمن قام به، وهو فيما صنع، متجاوز ما لا حق له فيه البتة، ولا يمثل إلا نفسه!! ودع عنك تهريج المنتفعين المستغلين، وتبُّطل العابثين اللاهثين.

وإنه لمنعطف خطير، يفسح ما هو أشبه بالخيال، للعدو الذي نعرف من مكره واحتياله ومطامعه وحقده الأسود الدفين، الممتد أربعة عشر قرناً في أعماق التاريخ، بدءاً من الساعة الأولى لمقدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة المنورة مهاجراً من مسقط رأسه مكة المكرمة، بل قبل ذلك. وما فسح لهذا العدو لن يقتصر على ميدان دون آخر.

إن تحرك الصهاينة على الصعيد الثقافي في العبث بمناهج الدراسة في الأرض المحتلة، والعمل على غسل أدمغة الطلاب والطالبات، وتزوير حقائق الدين، والتاريخ، والجغرافية في عقولهم ونفوسهم: أمر معروف ومفضوح.

ولقد بدت بوادر سوء في مصر، تنذر بتطوير المناهج أيضاً، لتنسق مع المرحلة الجديدة يا للخيبة!! وإذا حصل ذلك ـ لا قدر الله ـ فلا تسل عن العبث بالحقائق، والكذب على الله والتاريخ، والعمل على أن تصبح المناقشة في جانب، والتطلع إلى ساحات الجهاد، وطرد الغاصب، وتحرير مقدسات المسلمين في جانب.

ولا ندري ماذا هم صانعون بآيات القرآن التي تكشف عن حقيقة اليهود، وبأحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تبين القرآن أفضل بيان، وبالسيرة التي ما تركت زيادة لمستزيد ترجمة لتحركاتهم، سلماً وحرباً، في مواجهة دعوة الإسلام ونبيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ. ثم ماذا هم صانعون بتاريخ يمتد من بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يوم الناس هذا، بصفحات مشحونة بالدسائس والمؤامرات والكيد لهذه الأمة، تلك الصفحات التي بدأت بما صنع عبدالله بن سبأ اليهودي، ثم وليها ما وليها، ولن يكون آخرها ما نعانيه من أمرهم ومن أمر أذنابهم اليوم!

يا سبحان الله!! كيف يغني بعد ذلك كله زعم زاعم أن ممالأتهم وموالاتهم ـ وهم أعداء الله ورسوله وشر أعداء هذه الأمة ـ هو التعامل الحضاري؟! ترى هل فقد بعض الناس عقولهم حين استعاضوا عنها بالأهواء؟! أم أنهم يفترضون أن الناس بلا عقول، ماداموا هم على كرسي الطغيان والسلطان؟؟

أما عن الاقتصاد والمال: فحدث ولا حرج، فأشداق اليهود تتحلب إلى ثروات أمتنا في مختلف بلادها وأمصارها، وهم لا يغفلون لحظة عن المكر

والتدبير المدروس، لعل ذلك يكون في خدمة ما يدعونه إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. ومن قريب حملت الأنباء إسهام وزارة الصناعة الإسرائيلية مع مؤسسة صحفية في بلد أجنبي بإصدار كتاب عن الوضع التجاري في الشرق الأوسط، نتيجة ما يسمونه معاهدة السلام مع اليهود، وقد وردت فيه أسماء ثلاثة آلاف وخمسمئة شركة من شركاتهم، وقد طلب عدد كبير من الشركات اليهودية تزويده بتقارير عن البلد الذي وقعت معه المعاهدة، تمهيداً للمرحلة القادمة - وقد حانت تقريباً - التي يتوقع معها أن ترفع الحواجز التجارية بين البلدين.

والأخلاق!! وما أدراك ما الأخلاق؟ كل شيء عند اليهودي - حتى العرض - يجب أن يكون في خدمة المال والاقتصاد، ولهذا نصوص يزعم أحبارهم أنها من التوراة، وإنها لفتنة حالقة ماحقة والعياذ بالله، فإذا فتحت الحدود.. فلا حدود!!! ولم يعد خافياً ما صنعت هذه الفتنة في ميدان السلب واغتصاب الأرض، وإشاعة الفاحشة، والانحلال في الماضي القريب.

ألا إن هذا كله، يزيد من ضرورة التنبه واليقظة أكثر وأكثر، ويضع تعريفاً مناسباً لمرحلة المواجهة الجديدة في ضوء هذا الواقع الأليم، والأمر الذي يجب أن يأخذ مكان الصدارة على صعيد الأولويات والاهتمامات: أن لا نكتفي بلعن الخيانة وأصحابها، بل أن تنتقل الأمة من المرحلة الوصفية لما يخلّفه هذا المنعطف في تاريخ القضية، إلى إحكام المواجهة بكل أبعادها وعمقها وما هو ضروري لها على كل صعيد.

وإنها لنقلة تقتضي ـ مع الإعداد المعنوي والمادي الآن ـ مسحاً عاماً لكل ما حملته السنون العجاف بدءاً من ١٩٤٨م ـ على الأقل ـ ليكون من وراء ذلك رصد للوقائع وصانعيها، وإدراك لطبيعة المقدمات التي أثمرت ما يحاصرنا من نتائج، فما سلبه العدو خلال كل المراحل، هو حق هذه الأمة وأرضها ومقدساتها، ولا يملك أحد المساومة عليه، وإن فعل، فذلك عنوان انحرافه وضلاله، لا مشروعية ما فعل واجترح.

ومن الإخلاص للقضية والحيلولة دون أن يكون للأخطبوط ما يريد: أن تأخذ الطاقات كلها مسارها الطبيعي وبتخطيط مدروس. يضع كل مقومات الأمة وخصائص قدرتها المعنوية والمادية في حسبانه، كيما يكون ذلك كله روافد منتجة للعمل والبذل والجهاد، وإذا كان الإنسان هو المحور قبل كل شيء، وهو الرصيد الأول في حياة الأمة؛ فمن الأهمية بمكان: أن نعير هذا الإنسان كبير الاهتمام، فنفتح أمامه آفاق العطاء، ونهيئ له سبلها، ذلك لأن العلم التقني والسلاح والتخطيط، كل ذلك لا يجدي إذا هدم الإنسان، أو عومل معاملة منكوسة فأهدرت حريته وكرامته. وكل عدوان على الإنسان مهما كان شأنه يفوّت على الأمة خيراً كان يمكن أن يقدمه لو أنه أخذ حجمه الطبيعي في حريته وتطلعاته ضمن إطار الانتماء، وفي ضوء مقومات الأمة ومنابع وجودها الأصيل. أرأيت إلى رئيس وزراء العدو ـ وهو يفاوض ـ كيف كان يعود في كل صغيرة وكبيرة إلى من يمثلون إرادة من يحكمهم؟! وفي المقابل أرأيت إلى الطرف الآخر؟! إنها مأساة أن يتحول

أربعون مليوناً من البشر في نظر الحاكم إلى أرقام جامدة لدفع الضرائب، أو إلى أربعين مليوناً من المخلوقات التي تساق لتهتف في الميادين، أو تحمل إلى صناديق التأييد لتكون الحصيلة ما أريد من قبل فلا حول ولا طول، ولا رأي في قضية مصيرية تلامس الوجود الذاتي للأمة بكل أبعاده ومظاهره. وهكذا.. يوم تتحول حرية الإنسان، لتكون حرية الطاغية في أن يفعل ما يشاء فهناك الخراب والدمار.

مرة أخرى: إن هذا المنعطف الطارئ إنذار صارخ بمرحلة لها خصائصها ومميزاتها، تواجه فيها تحديات شرسة ماكرة، تستخدم لها طاقة الإنسان والعلم والاقتصاد والسلاح الحديث المتطور، ومشايعة من يمد العدو بالسلاح والمال، ومن يمده بالعلماء المهاجرين وغير المهاجرين، ثم مصالح منظورة وغير منظورة لبعض الدول الكبرى في العالم. ولا ننسى ما يزعم من مقولات توراتية وعبرية فيما يسمونه حائط المبكى، وهيكل سليمان، وأرض الميعاد، وأنهم شعب الله المختار، الموعود بهذه الأرض وإقامة الدولة عليها. تلك المزاعم الدينية التي يجمعون شتات يهود الأرض عليها ويأتون بهم إلى فلسطين. ناهيك عن تلك الجيوب التي تحمل الأخطار فيما يصنعون في لبنان وفي غيره من خلال أوضاع دولية وإقليمية هنا وهناك.

والمعتصم في مواجهة تلك التحديات ـ كما قلنا ـ جدية في التحرك، والأخذ بالأسباب على سلم الأولويات والاهتمامات، وصدق عزيمة في ميادين التربية والعمل والجهاد، والاعتزاز بالإسلام. إننا إن سلكنا السبيل

المرضية عند الله، كان لنا الخير في الدنيا والآخرة، وإلا فالله قادر على أن يستبدل بنا قوماً يعملون ويجاهدون، فيكون لهم شرف رد الكرامة المهدرة، والحق السليب. ذلكم قول الله تعالى في سورة التوبة التي فضحت المنافقين وهتكت أستار المتخاذلين والمعوقين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

ورضي الله عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حين قال: «وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا» إن هذا الرجل العظيم كان يتجه - وهو يقول كلمته هذه - صوب بناء الإنسان المسلم، إنسان العقيدة الذي تربى على العلم والمعرفة، وبني على حب الجهاد والاستشهاد، وأن الآجال والأرزاق بيد الله، وكذلك كان صانعو تاريخنا الأبرار.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد إمام المجاهدين، على آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.